مجلة الآداب والعلوم الإنسانية
المجلة العلمية لكلية الآداب - جامعة المنيا
مجلد ١٩٩٠
ص . ص ٢٥ - ٥١

القاهرة فى روايات نجيب محفوظ

دكتور محمد عويس محمد
الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنيا

جاءت أكثر من ثلاث عشرة رواية من أعمال نجيب محفوظ معنونة بأسماء أماكن لها دلالاتها وإيحاءاتها الخاصة بالنسبة لمدينة القاهرة وتطورت هذه الأماكن مع تطور الحدث الفنى للروايات، من المكان، الغائم أو اللامكان فى الروايات التاريخية الأولى، حيث تبدو الحوادث، والشخصيات وكأنها فى هواء ، إلى تحديد المكان وإبراز سماته إلى حد تظن - أنه تحول إلى بطل فى بعض الأعمال ومن ثم تعالج هذه الدراسة المكان عند كاتبنا، وهو مكان يتصل بالقاهرة وأحيائها وطرقاتها قديمها وحديثها، سواء الاحياء ذات الطابع الخاص مثل خان الخليلى أو الشوارع والمناطق التى درست بمرور الزمن وأمحت مسمياتها القديمة كالسكرية وقصر الشوق وازقتها كزقاق المدق ستحاول هذه الدراسة الإجابة على سؤال افترضه الباحث وهو إلى أى مدى ترسم أعمال نجيب محفوظ لوحة متكاملة للقاهرة : المعزية بأحيائها القديمة وعلاقتها بالقاهرة الحديثة مسجلة تاريخها السياسى والاجتماعى ؟

فى معرض الإجابة عن القسم الأول نزعم أن الكاتب لم يعمد إلى تصوير القاهرة بجميع إحيائها، إنما انتخب - وله هذا الحق من أحيائها وطرقاتها مايبرز رؤيته الفنية ويشف عن فكرة وموقفة ومن ثم تفاوتت درجة اهتمامه وكشفه لحى دون آخر ففى الثلاثية تبرز قيمة الأحياء الدينية والقديمة بشرياً وسياسياً واجتماعياً ومكانياً من حيث وصف المكان "بينما تخفت صورة الأحياء الحديثة إلا فيما يتصل بالأحداث من مثل التركيز الخارجى على قصر عبد الحميد شداد فى روايتى "بين القصرين" وقصر الشوق دون المام برؤية شاملة لحياة الناس فى حى العباسية ومن مثل الحديث عن قصر عبد الرحيم باشا فى حلوان حين تحدث فى السكرية عن علاقته برضوان ياسين بل إننا

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تفتقد الحديث عن إحياء وسط القاهرة التى ثارت فيها ثائرة الشعب مع سعد النحاس من بعد إذ لم يكن المكان الثابت بيت الأمة مثلاً هو المقصد بعينة إنما كان المقصود فى رأينا هو الشعب الذى يمثله المكان المتحرك ("طريق المظاهرات" هو بالدرجة الأولى ربما كان يعنى تصور المكان ملتبساً بالزمان، ومن ثم يقدم منه مايخدم الغاية الفنية فى رواياته. وهو حتى عندما يختار مكاناً جزئياً، يحاول أن يفجر فيه طاقات فنية كاملة، ابتداء باسمه وانتهاء بموقعه وعلاقاته بغيره، حدث هذا فى وصفة قهوة سى على (لجيب محفوظ ٥ ص ٢٣٢) وعطفة التربيعة (٥ ص٣) وبيت السكرية (٥ ص ٢٧٣) وقهوة أحمد عيد ودورها فى ثورة ١٩٩ - (٤) وكشك الحديقة بقصر العباسية الذى لعب دوراً بارزاً فى أحداث قصر الشوق (١٠ : ص٨٥) وقهوة كرشة فى زقاق المدق (٩ : ص٥) وقهوة "الزهرة فى خان الخليلى (٨ : ٤٧) وبالمثل مقهى الكرنك (٣ : ٤٧) التى اتخذها عنواناً "لرواية الكرنك فلعب المكان فيها دور البطولة حيث تبدو فاعلية المكان من تلك التسمية التاريخية ومن موقع يقول عنة الكاتب" فى وسط المدينة الكبيرة يصلح استراحة لجوال مثلى، وثمة عناق حار بين الماضى والحاضر الماضى العذاب والحاضر المجد" (٣ : ٤) مما يغرى بتلقى الصدمة بين الماضى والحاضر والجدال حولها .

والملاحظة أنه يلعب برمزية المكان كثيراً، لتوازى سلبية المكان وانعزالية لبية الشخوص، على نحو ماهو واضح فى ثرثرة على النيل التى تدور أحداثها فى عوامة فوق النيل، معزولة عن الحياة ترتعش بالأقدام الذهلة والثرثرة العميقة .

"طوبوغرافية" المكان :

من الممكن التفرقة بين نوعين من المكان فى الروايات التى دارت، أحداثها فى القاهرة، وأعطى الكاتب بطولتها أو جزءاً منها للمكان نستطيع تجاوزاً تحديدهما بالقاهرة القديمة، قاهرة النصف الأول من القرن العشرين "والقاهرة الحديثة" قاهرة النصف الثانى من القرن العشرين "ولكل نوع من المكانين خصائصه وسماته .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهناك سببان يجعلان مصطلح "القاهرة القديمة" يصدق على قاهرة النصف الأول من القرن العشرين، فى روايات الكاتب الأول : أن رواياته التاريخية : عبث الأقدار وراد وبيس وكفاح طيبة يرمز المكان فيها لإطار أعم من إطار القاهرة والثانى : أن الكاتب فى السطور الأولى من زقاق المدق يحدد الإجابة على سؤال طرحه هو "أى قاهرة أعنى الفاطمية ؟ المماليك ؟ السلاطين ؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الأثار "ثم مضى يتحدث عن قاهرة القرن العشرين .

واصدارته بين عامى ١٩٤٥ ، ١٩٥١ تتناول القاهرة من العقد الثانى من هذا القرن حتى نهاية حرب فلسطين تقريباً وبعض هذه الأعمال يستطيع الدارس ترتيبها من حيث توالى الزمن على النحو التالى وإن كان ترتيب نشر الثلاثية جاء متأخراً عن باقى الروايات الأخرى وإن سبقتها فى زمن الأحداث .

الثلاثية وتبدأ أحداثها فى بين القصرين مع إرهاصات الثورة قبيل ، الحرب العالمية الأولى وتنتهى فى السكرية خلال الحرب العالمية الثانية صدرت الطبعة الأولى لبين القصرين ١٩٥٦ وقصر الشوق ١٩٥٧ - والسكرية ١٩٥٧" خان الخليلى صدرت الطبعة الأولى ١٩٤٦ وتبدأ أحداثها مع الحرب العالمية الثانية وتنتهى بدخول قوات المحور إلى العلمين .

"القاهرة الجديدة وصدرت الطبعة الأولى لها عام ١٩٤٥ .

"زقاق المدق وصدرت الطبعة الأولى عام ١٩٤٧ وتستغرق العامين الاخرين من الحرب العالمية الثانية ونهايتها .

"السراب" ١٩٤٨ ، وبداية ونهاية "١٩٤٩ ليصور فترة ماقبل حرب فلسطين . أما باقى أعمال الكاتب التى أصدرها ابتداء من أول الستينيات فتصور فى الغالب القاهرة فى النصف الثانى من القرن العشرين وتبدأ باللص والكلاب عام ١٩٦١ إلى أعماله الأخيرة مع ملاحظة أنه لم تنتشر له روايات فى الفترة من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٦ ولعلة كان مشغولاً آنذاك فى إعداد ثلاثيته الرائعة. والمكان فى القاهرة القديمة سمات يمتاز بها فى مجال الشكل "الطوبوغرافى من مثل ماجاء فى حديث الكاتب عن منطقة بين القصرين ومافيها من رموز دينية وتاريخة يقول بلسان حال "أمينة كانت المشربية تقع أمام سبيل بين القصرين - ويلتقى تحتها شارعا النحاسين - الذى ينحدر إلى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الجنوب - وبين القصرين - الذى يصعد إلى الشمال - فهذا الطريق إلى يسارها ضيقاً ملتوياً متلفعاً بظلمة " تكتنف فى أعمالية حيث تطل نوافذ البيوت النائمة وتحف أسافلة بما يلقى ألية من أضواء مصابيح عربيات اليد وكلوبات المقاهى، وحيث توجد المتاجر الكبيرة التى تغلق أبوابها مكبراً، فلا يلفت النظرية إلا مآذن قلاوون، وبرقوق لاحت كأطياف من المردة ساهرة تحت النجوم الزاهرة (١٠ : ١) ويصف عطفة التربيعة الطويلة الضيقة المسقوفة بالخشب وكيف أن دكاكينها صغيرة متلاصقة على الجانبين كخلايا النحل (١٠ : ٢٣٢) ومثل هذا الوصف "الطوبوغرافى" جاء فى مواطن كثيرة من مثل حديث عائشة فى بين القصرين، عن حى السكرية الذى أقامت فيه مع زوجها فى بيت آل شوكت، بشكل يوحى أن المعالم الأساسية فى أحياء القاهرة التاريخية والدينية واحدة كل شىء حولها يذكرها بالبيت القديم فى بين القصرين ومايكتنفه من سبل وأبنية فلا اختلاف فيما عدا الأسماء وبعض المعالم التاريخية فقط بوابة البيت الجديد العظيمة لانظير لها فى البيت القديم ولكن المحمل لايمر من أمام البيت الجديد"(١٠ : ٢٧٧) وعلى هذا النحو من الوصف التفصيلى الذى يجعل الشكل العام لهذه الأحياء سمة مشتركة جاء وصفة لخان الخليلى (٨ : ٨) ولزقاق المدق (٩ : ٥) وطريقه المبلط بصفائح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصناديقية " تلك العطفة التاريخية وقهوته المعروفة بقهوة كرشة تردان جدرانها بتهاويل الأرابيسك أن الدارس يستطيع أن يرسم صورة للسمات العامة لهذه الأحياء التاريخية والدينية من حيث تخطيطها والنمط المعمارى لمبانيها وتطورها من البيت الكبير فى بيت القصرين إلى البيت المسكون بأكثر من أسرة حيث بيت السيد رضوان فى زقاق المدق وأيضاً أسلوب الحياة فى هذه البيوت ومن السمات المميزة للمكان فى القاهرة القديمة والجديدة " مقام الشيخ حيا أو ميتا ففى بين القصرين - فى القاهرة القديمة - صورة للولى ونعنى بها مقام الحسين ومكانته فى الحى الذى يحمل اسمه والأحياء المحيطة بل والقاهرة بأكملها إذ منذ وصر الأزهر كان محرك المظاهرات ضد الاحتلال وعلى الرغم من ذلك فإن الأم أمينة رمز مصر الصامد المطيعة - طردت من بيتها شرطردة لزيارتها الحسين دون إذن سابق من السيد حاكم البيت المستبد وتلقى ابنها كمال صدمة فى معتقده الدينى وهو فى سنى الطفولة بسبب مأحدث لأمه إذ كان فى صحبتها فى هذه الزيارة (٥ : ١٥٨ ومابعدها) وقد يأخذ الولى الحى شكلاً

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

"كاريكاتوريا على نحو صورة الشيخ متولى عبد الصمد فى زقاق المدق لكن فى مقابل هذا قد يأخذ شكل رب العائلة الكبير وصاحب الكلمة النهائية التى تحسم الأمور وتحل المشاكل على نحو دور السيد رضوان رمز القيم الدينية فى زقاق المدق (٩ : ٨٢ ومابعدها) إذ أنه - على ماتقول له زوج، المعلم كرشه "الخير والبركة ورجل زقاقنا الفاضل" (٩ : ٨٥) يد الحى جميعاً وأمرك مطاع (٩ : ٨٦) .

وفى القاهرة الجديدة يطالعنا مقام الشيخ فى حكاية بلا بداية ولانهاية حيث حارة الأكرم إنما سميت كذلك لوجود مقام وبيت كبير لولى يدعى الأكرم فى صحته تقام الأذكار والذى يخلفه فى الطريق ابنه محمود ويحاول "الخليفة الجمع بين العلم والدين جمعاً ظاهرياً ذلك أنه من المثقفين تخرج فى الجامعة (٧ : ١١) ويجمع بين البدلة والعمامة (٧ : ٢١) لكنه يفشل فى دعواه إذ أن النجاح فى تغيير الحارة يستلزم المعايشة الحقيقية بين العلم والدين ولايكفى المظهر أما الشيخ الجنيدى فهو صورة للولى الحى صاحب البيت المفتوح "المفتوح" دائماً "كما عهده من أقصى الزمن . فى حى الدراسة القائم بين ذراعى المقطم يأله من مسكن بسيط كالمساكين فى عهد آدم حوش كبير غير مسقوف فى ركنه الأيسر تخله عالية مقوسة الهامة، والى اليمين دهليز المدخل باب حجرة وحيد مفتوح لاباب مغلق فى ذلك المسكن، العجيب (٧ : ٢٣) ولعل الكاتب يرمز بهذه الإيحاءات الغريبة إلى التوزان، المطلوب لتبرير وجود الدرويش وعلى الرغم من الباب المفتوح لبيت الولى إلا أن سيد رمز العلم لم يدخله وظل ستار كثيف يحول بينه وبين الشيخ الجنيدى بين روحية خالصة ومادية صرفه، فكلاهما غريب عن الآخر على الرغم من الحوار الدائر بينهما والذى يعكس التنافس بين المادية والروحية (٧ : ٨٤) وثمة معلم ثالث فى القاهرة القديمة والجديدة هو المقهى نجده مكاناً مشاركاً فى الأحداث العامة وصدى التيارات الفكرية والسياسية وصورة لإصداء التناقضات الاجتماعية فى هذه الأحياء وأطلق الكاتب على المقاهى فى الأحياء التاريخية والدينية أسماء أصحابها فى الغالب أو أسماء الأحياء التى توجد فيها فى بعض الأحيان والأسماء هنا لاتحمل رمزاتها ولم تلعب المقهى فى الثلاثية دوراً متكاملاً إنما كانت مكملة للأحداث إذ أن قهوة أحمد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

عبده (٥ : ٣١٧) المنعزلة اتخذت فى بعض الأحيان مقراً لتنظيم مظاهرات ضد الاحتلال بينما كانت قهوة سى على (٥ : ٢٣١) مكاناً يراقب من خلاله ياسين مايجرى فى بيت زبيده العالمه ليتحين فرصة لقاء بابنة أختها زنوبة العوادة التى عشقها ومن بعد صنع أبوه السيد أحمد عبد الجواد ويتردد على المقاهى فى الثلاثية شخوص شاركوا فى الأحداث كانوا يتخذون من المقهى مكان لقاء لحوار فكرى وعقائدى أو لتسلية "أما فى خان الخليلى فإن قهوة الزهرة (٨ : ٤٧) لعب دوراً بارزاً فى تصوير النشاط الفكرى والسياسى والاجتماعى فجمهورها أنماط متنوعة من البشر اجتمعوا على قضاء وقت للهو والسمر بها وهم يمثلون طوائف السكان فى الحى فجمعت فى ركن منها المعلم نونو الخطاط سليمان بك عنه مفتش التعليم الأولى وسيد أفندى عارف الموظف بالمساحة وكمال أفندى خليل من موظفى المساحة وهو والد "نوال" بطلة القصة وجار أحمد عارف بطلها والمعلم عباس شقة من الأعيان قواد يدير بيته للمحرمات وأحمد رشاد المحامى والداعى إلى الشيوعية (٨ : ٤٧ : ٥٠) ومع ازدهار دور المقهى كثير عدد المقاهى حتى "قدر قهوات الحى بمعدل قهوة لكل عشرة من السكان (٨ : ٤٧) ولعل ظروف الحرب كانت من وراء هذه الظاهرة استمر الدور البارز للقهوة فى الحى القديم على نحو ماهو واضح فى زقاق المدق ونشاط "قهوة المعلم كرشه سواء فى الانتخابات (٩ : ١٣٧ ومابعدها) وفى الحوار التهكمى بين أبطال الرواية من سكان زقاق المدق وكأنها كانت المنصب الذى تصب فيه أخبار الحى "من هذه القهوة" تمكن إبراهيم فرج "القواد" من إيقاع "حميدة" فى حبائله (٩ : ١٧٣) وفيها كذلك فضحت "أم حسين، كرشة" شذوذ المعلم كرشه " بعد أن فشلت فى ردعة داخلياً "فى البيت" فرأت أن يكون الردع خارجياً وعلنيا فى ساحة الحى أى فى القهوة (٩ : ٩٢ - ٩٦) مما يدلنا على قيمة دور القهوة فى المجتمع ومشاركتها فى صنع الأحداث .

وثمة معلم رابع يتمثل فى "البيت الكبير" الذى يلعب دور البطولة المكانية والزمانية فى الأحداث ولعل بيت السيد أحمد عبد الجواد فى الثلاثية خير مايمثل هذا المعلم إذ يعيش فيه أبطال الرواية يمثلون كيان الأسرة الوحيدة وتعاقب أجيالا جيلا بعد جيل ويقابله بيت آل شوكت فى حى

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

السكرية حيث علاقة النسب ربطت بين البيتين ويرمز "البيت الكبير إلى أن القاهرة القديمة كانت رابطة الأسرة فيها رابطة قوية فى الحى الواحد بمعنى أن الحى مجموعة من الاسر تعيش كل منها فى بيتها الكبير المعروف وإذا تزوج الابن يكون له مكانة فى البيت أما الابنة فإنها تخرج من البيت الكبير بعد زواجها إلى بيت زوجها الذى هو ركن من أركان البيت الكبير لاسرته، وبيت السيد أحمد عبد الجواد مملكة قائمة بذاتها له شخصيته المميزة فى الحى وبالتالى فى أحداث الحرب العالمية الثانية وماصاحبها من ظروف اقتصادية عملت على تفتيت "البيت الكبير" وظهور البيت المسكون بأكثر من أسرة على نحو ماحدث لأسرة عاكف أفندى فى خان الخليلى تركت حى السكاكينى لتسكن شقة فى بيت جديد من بيوت حى خان الخليلى ويتحول الزقاق أو الحارة إلى بيت كبير أشبه "بالربع القديم "تسكنه " أنماط من الأسر بينهم رباط يجمعهم يتمثل فى المشاركة فى أحداث الزقاق ولهم كبيريهم من على أمورهم بشكل ماعلى نحو ماحدث فى زقاق المدق ودور السيد رضوان فيه وهكذا تطورت فكرة البيت، الكبير من بيت الأسرة إلى البيت الجديد الذى تتعدد فيه الأسر إلى الزقاق أو الحارة تسكنها أكثر من أسرة بينها علاقات تؤثر فى الأحداث من ثم لانبالغ إذا قلنا أن "الحارة فى القاهرة القديمة تعد خليتها المكونة للمجتمع وأينا ذلك فى زقاق المدق" ونراه واضحاً فى حارة الحسين التى دارت فيها أحداث رواية "حضرة المحترم" وهى "حارة طويلة ذات منحنى حاد مشهورة بموقف للكارو ومسقى للحمير(٦ : ١٠) ومن خصائص الحياة فيها أنها لاتعرف الهمس والنجوى، أصواتها مرتفعة جداً متوترة بين الحكمة والبدائية (٦ : ١٠) وهى نفس الخصائص المميزة لزقاق المدق وفى رواية الكرنك كان بطلها "إسماعيل" من بيئة حارة دعبس بالحسنية" وهى حارة على، شاكلة الحارة فى القاهرة القديمة من حيث نماذجها البشرية (٣ : ٤٨) ولكن ساءت مرافقها وضاقت حجراتها لازدحامها بالسكان والتغير البارز فى الحارة بعد ثورة ١٩٥٢ يرصده نجيب محفوظ على لسان اسماعيل "لم يتغير شيء جوهرى فى حارة دعبس حتى اليوم "فهران المدارس فتحت أبوابها ودخلت مع الداخلين (٣ : ٤٨) ومن تعلم من أهل الحارة لم يكن متوقعاً له نجاح إسماعيل "ولعل أبى كان يتمنى لى الفشل مثل أخوتى ولكنى خيبت ظنه، وواصلت النجاح حتى نلت الثانوية العامة (٣ : ٤٩) وعلى هذا النحو كان بطل رواية" حضرة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المحترم أراد أبوه أن يجعل منه "سواق ، كارو" مثله ولكن شيخ الكتاب قال له ياعم بيومى توكل على الله وادخل الولد المدرسة الابتدائية (٣ : ٤٩) ويكمل إطار الصورة المكانية مانجده فى الحارة من دكاكين بائعى الحوى "البسبوسة خاصة" الشربتلى" والحلاق والوكالة التجارية وبائع الفاكهة رأينا هذه المعالم فى الثلاثية وخان الخليلى وزقاق المدق ترسم صورة متكاملة لإطار المكان طوبوغرافية فى القاهرة القديمة ونحن لانزعم أن حدوداً فاصلة قامت بين طبيعة المكان وسماته فى كل من القاهرة القديمة والجديدة إنما تطورت طبيعة المكان مع تطور الزمن والأحداث وبرزت مكانة مكان على أخر. والمقهى موجود فى القاهرة الجديدة رأيناها (٦ : ١٢) مكاناً أنيقاً رشيقاً مهيأ ليكون مجلساً له جاذبيته التى لاتقاوم، ويليق بجمهوره ومستوى تفكيرهم وحوارهم(٩ : ٤) ورأيناها فى اللص والكلاب مكاناً لعقد الصفقات (٦ : ٦٠) وعلى هذا توارى دور القهوة المشارك فى الأحداث فى القاهرة القديمة إلى دور ثانوى فى القاهرة الجديدة وعرفت القاهرة القديمة الجامعة لكن دورها فى الأحداث لم يكن أساسياً إلا بنهاية الحرب العالمية الثانية ففى رواية "القاهرة الجديدة" الجامعة ومدينة الطلبة من أبرز المعالم فيها حيث صراع الأفكار التى تحاول جاهدة الوقوف على طريق لإنقاذ مصر فإذا استغل الكاتب المكان القديم ليكشف عن واقع مصر الاجتماعى فى فترة مابعد الحرب فإنه يعمد فى المكان الجديد إلى البحث عن وسيلة فيها حل للمشكلة الاجتماعية والسياسة وعلى هذا يتحول المكان نفسه إلى رمز للتناول بنجاة مصر وخروجها من المأساة وكان التفكير العلمى مضافاً إليه جهود الشباب الواعية هما الطريق لتحرر مصر وتقدمها وهذه النتيجة تبلور خلاصة جهود الشباب من أبناء الوطن على ماأوضحته الثلاثية فالجامعة فى قاهرة النصف الثانى من ، القرن العشرين على نحو ماهو واضح فى اللص والكلاب "كما فى غيرها مصدر الأراء التحررية المعتدلة والمتطرفة فالبيئة الأولى لسعيد مهران "بطل الرواية" كانت بيت الطلبة فى طريق مديرية الجيزة حيث كان والده بواباً للبيت وهناك يلتقى برؤوف علوان ، الطالب الثائر فالثورة فى شكل طالب (٤ : ١٢٧) حيث تدخل رؤوف فى حياته تدخلاً مؤثراً فالحقه بالعمل مكان والده بعد وفاته، وتدخل لدى والده - من قبل ، ليدخله المدرسة ويتدخل كذلك فى تشكيل معتقده مستغلاً ظروفه الاقتصادية ومن خلال هذه الصلة "عرف البطل كلمات،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الشعب والسرقة والنار المقدسة "والثورة والجوع" و "العدالة المذهلة (٤ : ١٢٨) وكان يرشده إلى القراءة وهو الذى أعطاه مشروعية السرقة قائلاً سرقات فردية لاقيمة لها لابد من تنظيم (٤ : ١٢٨) ومن أجل هذا جاءت كلمات مهران فى وصف أثر رؤوف علوان عليه تقول : تخلقنى ثم ترتد تغير بكل بساطة فكرك بعد أن تجسد فى شخصى (٤ : ٤٩) ومن ثم كان سعيد شقياً طيلة حياته بأفكار رؤوف الاشتراكية المتصرفة والجامعة على هذا النحو بدأ دورها ينمو تدريجياً إلى أن أصبحت فى العقد الأخير من النصف الأول من القرن العشرين مشرف التطور ومن السطور الأولى يركز كاتبنا على أهمية العنصر النسائى فى صنع هذا التطور وفى صنع مصر الحديثة فالجامعة فيها الحوار البناء ومنها انطلق العنصر النسائى يشارك فى صنع مصر الحديثة (٢ : ٥) وكان المجتمع يخسر بفقدانه نصف طاقاته تقريباً وإذا لم يتم الحوار بين الطلبه فى الجامعة فليكتمل فى بيت الطلبة "ومن المعالم المكانية الواضحة فى القاهرة الجديدة الوزارة حيث، المحسوبية والرشوة وبيع الوظائف بأثمان متعددة والمكاتب ورأينا ديوان الحكومة فى حضرة المحترم - حيث الطرح والاستشراف وعلاقات العمل المتعددة .

وهكذا تدلنا دراسة طوبوغرافيا "المكان على أن حيزه أخذ فى الاتساع بمرور الوقت باتساع دائرة الأحداث إذ بدأ بالبيت الكبير فى الثلاثية تنطلق منه الأحداث من خلال أسرة السيد أحمد عبد الجواد وتفاعلها مع ماحولها من أحداث القاهرة واتصال أفرادها بمراكز الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى المدينة ثم اتسعت دائرة المكان لتشمل جزءاً من حى فى خان الخليلى أو طريقاً أو، زقاقاً فى زقاق المدق حيث ظروف الحرب العالمية الثانية وماعملته فى انحلال رابطة الأسرة وإذا بمجموعات من الأسر تعيش فى إطار مكان واحد حى أو زقاق يواجهون أحداثاً مشتركة بمواقف متباينة وتتبلور الأحداث لتشكيل قضية عامة يواجهها المجتمع فيتسع إطار المكان ليشمل أكثر من حى وأكثر من موقع على نحو ماهر ظاهر فى طبيعة المكان فى روايات الكاتب بعد الحرب العالمية الثانية وكأن المكان قد تحول من إطار محسوس محدد حدوده جدران البيت أو معالم الطريق إلى إطار معنوى تحدد حدود الأفكار والاتجاهات التى يتصارع فى أكثر من مكان داخل المكان الشامل أعنى القاهرة .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المكان والحياة السياسية :

تطور المكان مع تطور المشاركة فى الحياة السياسية على نحو تطوره الطوبوغرافى من الإطار المحسوس إلى الإطار المعنوى فالبيت الكبير فى الثلاثية يتأثر فى العقد الثانى من هذا القرن ببواكير الثورة الشعبية ضد الحماية البريطانية، وتفارت هذا التأثر سلباً وإيجاباً وتطور فكرياً وعملياً أو تجمد بمرور الزمن ابتداء من أحداث الثورة إلى إرهاصات الحرب العالمية الثانية فأجيال الثلاثية يمثلون التطور فى الحياة السياسية خلال الحربين كان السيد أحمد عبد الجواد متحاملاً على جنود الاحتلال وعلى الحرب التى تطحن العالم ويلعن الجنود الاستراليين الذين ينتشرون فى المدينة كالجراد ويعيثون فى الأرض فساداً (٥ : ١٤) وتعاطفت أمينة مع آرائه وأحلامه فى عودة الخلافة وأن ينصر الله الألمان والترك (٥ : ١٦) وفى هذا الوقت لم يكن أحد يرفع رأسه فى مصر (٥ : ٢٥) وكان جنود الاحتلال يستهينون بكل شىء حتى عمامة الشيخ متولى عبد الصمد لم تسلم من أذاهم حتى لم يعد يملك إلا الدعاء لله أن يمزق أمتهم كما مزقوا شال عمامته (٥١ : ٤٠) والحق أن السيد وهو يمثل الجيل الأول قنع من وطنيته بالعاطفة والجامعة والمشاركة الوجدانية دون الإقدام على عمل يغير وجه الحياة التى أنس إليه فلا يرضى عنه بديلاً لذلك لم يدر بخلده أن ينضم إلى لجنة من رجال الحزب الوطنى على شدة تعلقه بمبادئه ولاحتى أن يجشم نفس شهود اجتماع من اجتماعاته أليس فى ذلك إهدار لوقته الثمين : ليس الوطن فى حاجة إليه على حين يتلهف هو على كل دقيقة منه لينفقها فى أسرته أو تجارته أو على الخصوص فى لهوه بين الأحباب والخلان (٥ : ٣١٤) وعلى الرغم من هذه السلبية كان جبل "السيد" يتحمسون فى تأييدهم لسعد زغلول ورفاقه فى جهودهم وكان التأييد شبه عام بين الشعب (٥ : ٣١١ ، ٣٤٠) أما الجيل الثانى "جيل الأبناء" فأكبرهم ياسين استغرقته الشهوات ولم تشغله الأمور السياسية عن شهواته وحين احتل الجنود البريطانيون ساحة بين القصرين واضطر إلى المكث فى البيت تحت ظل الأحكام العرفية لم يحتمل هذا الموقف وارتكب ثانى جريمة نسائية فى حياته حيث ضبطته زوجته الأولى زينب فى حالة تلبث مع جارتها السوداء (٥ : ٣٥٩ ومابعدها) نو رفوق سطح البيت ولم تكن مشاركته فى أحاديث السياسة مجلس القهوة بالبيت الكبير أو فى الحانة إلا مشاركة واهية من قبيل إثبات

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الذات أما "فهمى الإبن الثانى فكان على النقيض من أبيه وأخيه ياسين كان يدرس فى مدرسة الحقوق الجامعة وشارك فى ثورة الطلبة ضد جنود الحماية البريطانية (٥ : ٣٢٩) ونظم مظاهرات تأييد سعد زغلول ورفاقه (٥ : ٣١٧) وكان يشرح لأمه ولأخواته فى مجلس القهرة نشاط الطلبة وكيف أن القاعدة الطلابية ثائرة ضد الانجليز وتقف من وراء سعد ورفاقه (٥ : ٣١٠) وحين اكتشف السد دور فهمى فى لجان الطلبة (٥ : ٣٩٦) بعد حادثة محاولة إتهام ياسين بالجاسوسية فى الحسين (٥ : ٣٩٣) لم يذعن الابن لأمر أبيه بالقسم على عدم المشاركة فى المظاهرات (٥ : ٤٠٤) ويوم ٧ فبراير ١٩١٨ الذى كان رمزاً لانتصار الثورة (٥ : ٤٦١) حيث أفرج عن سعد وعمت المظاهرات البلاد حيث تجمع أكثر من تآلف من طرابيش وعمائم وطلبة وعمال وموظفين، الشيوخ والقساوسة والقضاء (٥ : ٤٧٢) تصدى الإنجليز للمتظاهرين بالرصاص الغادر وسقط فهمى شهيداً مع من استشهد من شباب الوطن فى هذه الثورة انتقل إلى جوار الأبرار وطنياً نبيلاً وشهيداً كريماً ومن ثم خرج من البيت الكبير شهيداً من شهداء الوطن يرمز إلى ماتقدمه الأسرة المصرية للوطن من فلذات أكبادها .

وإذا كان فهمى رمز المشاركة الإيجابية فى الثورة فإن تطور الأحداث بعد الحرب العالمية الأولى والخلافات الحزبية والصراع السياسى والفكرى جعل من كمال وهو الابن الأصغر رمزاً للتشتت الفكرى والمعاناة فى البحث عن الحقيقة بدا كمال المفكر (١٠ : ٢٠) مؤمناً بالقيم الدينية (١٠ : ٢٩) لكنه تخلى عن الدين إلى الفلسفة وإلى العلم حيث يفكر فى أمور العالم (١٠ : ٦٣) يجتهد ويفكر دون أن يصل إلى شيء يقتنع به وعلى الرغم من حبه فى طفولتهم للانجليز (٥ : ٣٧٤) إلا أنه حين شب مقتهم (١٠ : ٢٠) راحب سعد زغلول حتى ليقول له حسين شداد انك تجد دائماً وراء الأمور إما الله وإما سعد زغلول(١٠ : ٢١٦) ودافع عن سعد دفاعاً طويلاً أمام أصدقائه فى حديقه قصر آل شداد بالعباسية فاضحاً موقف فئة من المحسوبين على المصريين تراهم يائس من نهوض الوطن يأس الاحتقار والتعالى لايأس الطموح والتطور ولولا أن السياسة مطية لاطماعهم لاعتزلوها(١٠ : ١٨٦) ويظهر أن طائفة من شباب، الطبقة الارستقراطية

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كانوا يحقرون من شأن سعد زغلول باعتباراته أزهرى مايقول حسين شداد (١٠ : ١٨٨) وفى هذا مايرمز إلى الطعن فى القيم الدينية والتراثية، يرد عليها كمال قائلاً : العظمة شىء غير العمامة، والطربوش أو الفقر أو الغنى (١٠ : ١٨٨) والفكر والسياسة عنده لاانفصال بينهما فالفكر الذى يقدح به زناد عقله إنما يوجهه لبناء مصر الحديثة التى يرى أنها تقوم على العلم الأوربى وأخذ فى تحرير المجالات فى تاريخ الفكر والنظريات العلمية (١٠ : ٣٩٠) ومال إلى الإلحاد مزيناً نفسه البحث فى الحق والخير والجمال (١٠ : ٤٠٢) ومال إلى النساء والخمر (١٠ : ٤٢٤) خاصة بعد صدمته فى حبه الأفلاطونى لعايدة ابنة الباشا ومحاوراته فى قصر الشوق والسكرية سواء مع أصدقائه فى قصر عبد الحميد شداد بالعباسية أو مع رياض قلدس (١ : ١٥٧ ، ١٧٤) وعبد العزيز الأسيوطى فى مجلة الفكر (١ : ١٢٢ ومابعدها ، و٢٨١) أو مع نفسه صورة للشتات، الفكرى (١٠ : ٤٤٨) الذى أصاب كمال (١ : ٤٤) وأمثاله من شباب مصر فى الثلاثينات كان صورة للإحباط السياسى والاجتماعى والفكرى ضاعت منه الحقيقة وضاعت الثلاثية برباط عنق أسود اشتراه "كمال حزناً على وفاة أمه "أمينة رامزاً إلى حياته القاتمة بسبب اضطرابه الفكرى وكان الجيل الثالث أكثر تعديداً لاتجاهه السياسى ويمثل هذا الجيل من البيت الكبير وبيت آل شركت ثلاثة شباب لعبوا دور البطولة فى السكرية خاصة الأول رضوان ياسين ومال إلى الاتصال بعبد الرحيم باشا الذى شغل منصباً وزارياً وألحق رضوان للعمل سكرتيراً له فكان رمزاً للمتصلين بالسلطة الحاكمة علا شأنه طالما كان الوزير الباشا صديقه فى السلطة وأفل نجمه حين تغير تشكيل الوزارة عقب الخلافات التى دبت بين أقطاب الوفد (النحاس والنقراشى) وبين السراية (١ : ١٦٢) والثانى عبد المنعم إبراهيم شركت الطالب بالمدرسة الثانوية (ابن خديجة) كان من الأخوان المسلمين: التقى بالشيخ على المنوفى فى قهوة أحمد عبده وظل من اتباعه الذين آمنوا بعدم جدوى الحضارة المادية (الغربية) وأن الاعتماد يجب أن يكون على "الإيمان الصادق خالق القوة وباعثها (١ : ٩٨ ومواقع أخرى) وتزوج وهو فى البكالوريا من ابنة خالته عائشة وقاية لنفسه من شهواتها وتنفيذاً لأوامر شيخه (١ : ٤١) ثم تزوج ثانية بعد وفاتها – من ابنة زنوبة العوادة وخالة ياسين (١ : ٢٧٦) فكان زوجاً عجيباً جمع بين الأضداد المتنافرة، التشدد الدينى متمثلاً فى عبد المنعم والشذوذ

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الخلقى متمثلاً فى زواج، ياسين وزنوبة غيران فى هذا الزواج نوعاً من المصالحة من خلال التوبة إلى الله وللعمل الصالح. والثالث أحمد الشقيق الأكبر لعبد المنعم كان شيوعياً تخرج فى كلية الآداب وعمل فى مجلة الإنسان الجديد التى كان مركزاً للفكر الشيوعى (١ : ١٠٤ أو مابعدها) حاول الزواج من علوية صبرى (١ : ١٥٩) زميلته فى كلية الآداب لكنها رفضته لأنها لاترغب فى الزواج من رجل لايقل راتبة عن خمسين جنيهاً شهرياً (١ : ٢٢١ - ٢٢٥) فتركها ليتزوج من زميلته فى المجلة سوسن فؤاد (١ : ٢٤٤) التى كانت تؤمن بالفكر الشيوعى إيماناً كاملاً (١ : ٣٠٥) وكانت بينه وبين شقيقه مناقشات (١ : ١٦٠) أرهقت أمها خديجة (١ : ٢٠٧ ومابعدها) وتحول بيت آل شوكت التركى الأصل إلى خليتين متناقضتين خلية يجتمع فيها عبد المنعم بصحبة من الأخوان المسلمين والثانية تضم أحمد وزوجته سوسن وأصحابهما من الشيوعيين وان كانت خديجة تميل إلى تدين إبنها عبد المنعم إلا أنها كانت تكره ليحته وتزعم أن تدينه ماهو إلا خلق فى دم أسرتها (١ : ٣٣٤) أما الأب إبراهيم شوكت فيقول : أعترف بأن ابنى المؤمن والمارق على السواء مجنونان (١ : ٣٣٤) ولم تكن السلطة الحاكمة راضية عن نشاط الفئتين بعد أن ضربت الأحزاب بعضها ببعض (١ : ١٦٢) ومن ثم انتهت جهود كل من عبد المنعم واحمد بالقبض عليهما وإيداعهما السجن (١ : ٣٧٢) ورحلا مع كثيرين إلى معتقل الطور الذى يضم هؤلاء الذين يعبدون الله، وأولئك الذين لايؤمنون بالله لكن فى زمرة واحدة (١ : ٣٩٢) هكذا رأينا من خلال إطار "البيت الكبير" فى الثلاثية - بيت السيد عبد الجواد وبيت آل شوكت التركى المصير كيف تمت مع الأحداث الأفكار السياسية وجهود النضال من أجل حرية الوطن تلك الجهود التى انتهت باستشهاد فهمى من البيت الكبير فى العشرينات وإلى شتات فكر كمال وأخيراً إلى القبض على اثنين من الجيل الثالث هما أحمد وعبد المنعم إبراهيم شوكت زوج خديجة عبد الجواد وتمثل فى الثلاثية الإتجاه السياسى المؤيد للوفد والاتجاه المعارض للوفد والاتجاه الشيوعى والاتجاه الدينى وتداعت الأمور فى البيت الكبير إبان الحرب العالمية الثانية ومن اشتداد وطأة الغارات الجوية على القاهرة فى غارة من هذه الغارات اضطر "السيد" أن يترك فراش المرض ليلجأ إلى المخبأ، (١ : ٣٦٥) ويعود من بعد الغاره ، محطماً ومايلبث أن يفارق الحياة فى زمن الحرب التى تهلك الحرث والنسل . واستمرت

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أعمدة الثلاثية إلى عام ١٩٤٤ تقريباً (٢ : ٣٨١) وكان الحوار السياسى مستمراً فى قهوة خان الخليلى بين كمال ورياض قلدس موازياً لما كان يجرى من حوار فى قهوة، الزهرة، فى نفس الحى وفى رواية "خان الخليلى" التى تصور الحياة، السياسية فى مصر منذ المغارات الجوية على القاهرة إلى دخول قوات المحور إلى العلمين .

خرجت الأفكار والاتجاهات السياسية من "البيت الكبير" إلى الحى وإلى الطريق وفى قهوة الحى يتجمع الطلبة من ذوى الاتجاهات المتباينة التى توضحها لنا رواية "خان الخليلى" حيث يظل الرواية أحمد عاكف (الامتداد الطبيعى لكمال عبد الجواد) والملقب بالفيلسوف (٨ : ١٦) يؤمن بأن جو مصر بصفة عامة لم يتهيأ للعلم " (٨ : ١٦) وتصاحبه حالة الشتات الفكرى شاكلة كمال عبد الجواد ذلك أنه "لم يعرف نفسه بعد" (٨ : ١٦) خاصة بعد أن، تحطمت جهوده من أجل تحقيق أحلامه، فهو يعد صورة لعملية سوء الهضم العقلى لدى مواطن القاهرة المضطرب بسبب ظروف الحرب (٨ : ١٩) وينضم أحمد عاكف إلى أصحاب المعلم نونو الخطاط ومن أبرزهم فى مجال بحثنا هنا أحمد راشد المحامى، والذى يعد امتداداً لأحمد إبراهيم شوكت إذ كان شيوعياً يجادل أحمد عاكف طويلاً حول إيمانه بالدين والماضى بينما يؤمن راشد برسل العصر فرويد وكارل ماركس (٨ : ٥٦ - ٥٩) الذى هيأت فلسفته للفرد النجاة من أمراض الحياة الجنسية التى تلعب فى حياتنا الدور الجوهرى بينما هيأ كارل ماركس من الشفاء الاجتماعى. و سيطر الحوار على جانب، من أحاديث الصحاب فى قهوة الزهرة بينما ينقسم هؤلاء الأصحاب بين مؤيد للانجليز ومؤيد للألمان وهتلر ومؤيد لروسيا والشيوعية (٨ : ٦٧) وفى رأى، أحمد راشد أن الشعب ينقسم إلى مجموعتين من الشحاذين وحفنة من أصحاب الملايين (٨ : ٨٢) أفليس يتاح للشعب غير العمل الوضيع أو امتهان الشحاذة والعمل الوضيع لايغض عن الشحاذة. وليس يوجد شر من نظام يقضى بالانحدار إلى مستوى الحيوان الأعجم (٨ : ٨٦) لاغنى عن التسلح بالعلم للمكافح الحق ، لالاستغراق فى تأملاته ولكن لتحرير النفس من أصفاد الأوهام والترهات، فكما انقذتنا الديانات من الوثنية ينبغى من منذنا العلم من الديانات (٨ : ٨٤) والجدير بالملاحظة أن الخط النفسى والخط السياسى متوازيان، فالظروف النفسية لشخصية أحمد عاكف جعلت خطه السياسى متوازناً

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مع نفسه التى تميل إلى الدين والماضى بقدر، وتتردد فى قبول الجديد. وعلى هذا كانت أصداء الحرب واضحة فى الفكر السياسى فى حى خان الخليلى متمثلة فى تناقض تأييد الشعب للقوى المتحاربة وإن كان عامة الشعب يميلون من منطلق دينى إلى تركيا وهتلر، بينما ينزع نفر من المثقفين إلى تأييد الفكر الشيوعى وروسيا. وتتبلور هذه الاتجاهات فى رواية "القاهرة الجديدة" ذلك أن زقاق المدق اتجهت إلى تصوير الآثار الاقتصادية والاجتماعية للحرب على مواطن القاهرة ولم يظهر فيها من ألوان السياسة إلا ظاهرة فساد الانتخابات أما فى "القاهرة الجديدة فإن أفكار واتجاهات الشباب تبرز ممثلة فى ثلاثة اتجاهات فكرية يعبر عنها أبطال الرواية كل عن وجهة نظره على النحو التالى : -

مأمون رضوان شاب متدين يحب القراءة، خطب إلى فتاه من أسرة محترمة يرى أنه تكفينا لصلاح حياتنا المبادىء التى انشأها الله عز وجل (٢ : ٩) ومن ثم كان ينكر الأحزاب جميعاً، ويأبى الاعتراف بالقضية المصرية ويقول بحماسته المعهوده أن هناك قضية واحدة هى قضية الإسلام عامة والعروبة خاصة وقد آمن إيماناً راسخاً بثلاثة أشياء لم ينكرها بعد ذلك طوال حياته : الله، الفضيلة، قضية الإسلام (٢ : ١٤) رحب قلبه المخلص بالوفاق الذى بشر به القرن العشرون بين العلم والدين والفلسفة (٢ : ١٤)، على طه : يؤمن بالمجتمع ويستمد منه مبادئه ويراها فى (الإيمان) بالعلم بدل الغيب، والمجتمع بدل الجنة، والاشتراكية بدل المنافسة (٢ : ٩) ويبشر بوجوب مشاركة المرأة فى بناء المجتمع، ولذلك عندما أحب إحسان بنت الصعلوك شحاته تركى صاحب دكان السجاير الحقير، كان يرجو أن يجعل منها فى المستقبل زوجاً غير الزوج التى تعرفه البيوت الشرقية (٢ : ٨) يريدها بعد البكالوريا ان تدخل كليته ويريدها أن تعمل لأنه لايرضى " بحرمان المجتمع عضواً جميلاً نافعاً (٢ : ١٩) . محجوب عبد الدايم ويمثل اتجاه الانتهازية والتحلل من الدين والمبادىء والأخلاق اعتنق فلسفة الحرية وأدار ظهره باحتقار لكن مايبقى وهكذا تتحول الحياة السياسية فى المكان ، ويتطور المكان بتطور الأحداث - ويتحول من الإطار المحسوس المحدد بحدود جدران البيت وجنبات الطريق ومعالم الحى إلى الاطار المعنوى الذى يتسع باتساع المجتمع ككل ان فكرة مقاومة الحماية وتأييد ثورة سعد زغلول ورفاقه تفجرت فى "مجلس القهوة" وهو

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

صاله من صالات الطابق الأول البيت الكبير" فى بيت بين القصرين واخذت تنمو وتتطور بتطور الموقف السياسى لدى شخوص الثلاثية، فتسيطر على أرجاء البيت الكبير بكل حجراته حين احتل الجنود البريطانيون ساحة بين القصرين ويهتز هزة ثانية حين يقع "السيد" فى قبضة الإنجليز ويكلف بردم حفرة كبيرة عند بوابة من بوابات القاهرة ويهتز مرة ثالثة حين تتورط "مريم" فى علاقة عاطفية مع الجندى الإنجليزى "جوليان" غير أن الهزة العنيفة التى رجت البيت رجاً كانت حين استشهد (فهمى "فى مظاهرات تأييد سعد زغلول وتتسع الدائرة المكانية وتناقش قضية تحرير الوطن فى بيت آل شوكت وفى قصر العباسية وقصر حلوان وفى مجلة الفكر وفى مجلة الإنسان وفى بعض المقاهى وفى مجلس الطرب والأنس وتظهر النتيجة فى البيت حيث كمال يعيش والشتات الفكرى وبيت آل شوكت حيث عبد المنعم ممثل الأخوان المسلمين، وأحمد وسوسن ممثلا الشيوعيين ومن هذه الأمكنة المحدودة تنطلق الحركة السياسية لتصل مداها فى القاهرة الجديدة "إلى الجامعة لتبدأ مرحلة، من مراحل الحياة السياسية تتحول فيها مناقشة الأمور السياسية من دائرة المكان الحى إلى دائرة المكان المعنوى فتعالج روايات الكاتب هذه الأمور بشكل يشمل القاهرة ككل، وكان عقب ثورة ١٩٥٢ حيث تظهر فى المكان المعنوى الشامل جملة من القضايا نجدها واضحة فى الروايات المنشورة، ابتداء من الستينات وقد اختفت المواقف من ثورة ١٩٥٢ ، ويختار الكاتب الأحداث التاريخية البارزة التى تتعدد إزائها المواقف وتختلف من حولها الآراء لعمق تأثيرها فى الشعب فتبين لذلك حقيقة سلبيات الفترة وإيجابياتها ونلتقى فى رواية ميرامار "بثلاثة نماذج توضح المواقف المتباينة لأبطال الرواية على النحو التالى : -

عامر وجدى : صحفى قديم ، ذو ماضى جيد فى النضال السياسى والحزبى يتعاطف مع حيلة، فنراه يخاطب صور الكابتن الإنجليزى زوج" ، مريانا" صاحبة البنسيون الذى قتلته ثورة ١٩١٩ يقول : نرى من قتلت ويأى سلاح : فكم من جيلنا قتلت قبل أن تقتل ! جيلنا العتيد الذى فاق الأجيال جميعاً فى غزارة ضحاياه (١١ : ٢٥) من هذا المنطلق يتعاطف مع ثورة ١٩٥٢ حتى يتهم بالشيوعية (١١ : ٣٢) ويظهر تعاطفه مع "زهرة" -(رمز) مصر- لاحظ أن القهوة فى خان الخليلى كانت قهوة "الزهرة - جملة يكثر من الدعاء لها قائلاً: فليحفظك الله يازهرة فى كل موقف أو حديث، حتى أصبح هذا الدعاء محوراً لأحاديثه (١١: ٣٧-٥٧-٦٥-٦٩-٧٢-٨٠- ٢٤٥)

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهو يتوسل إلى المدام أن تبقيها، حين همت بطردها وأمام إصرار "زهرة" على الرحيل أراد أن يطمئن على مستقبلها عارضاً عليها مساعدته (١١ : ٢٧١ - ٢٧٢) فهو يمثل من كان لهم ماضى سياسى وطنى ممن تعاطفوا مع الثورة وإن لم يعتمد عليهم رجالها .

طلبة مرزوق : وكيل سابق لوزارة الأوقاف كان يمتلك ألف فدان قبل الثورة فرضت عليه الحراسة لشبهة تهريب (١١ : ٢٩) ومن ثم وقف موقف، العداء من الثورة لكنه كان معادياً لكل حركة شعبية ومن هنا كان يقف موقف المعارض ويبرز عداءه لسعد زغلول الذى هو سبب كل معاناة الشعب "هناك سبب بعيد فى طرف الحبل المشدود حول أعناقنا شخص لايكاد يذكره أحد : من هو ؟ سعد زغلول أجل منذ دأب على إثارة الأمن بين الناس ، والتطاول على الملك ، ومن بذرة خبيثة مازالت تنمو وتتضخم كسرطان لاعلاج له حتى قضى علينا " ويشى بموقفه غير الوطنى موقفه من زهرة رمز مصر - الذى يتمثل فى الاشتهاء، وتحين الفرص للطعن فيها، بل حاول الاعتداء عليها (١١ : ٤٧ - ٤٨) وإزاء تمسك زهرة بحبها لسرحان البحيرى ومحاولة ترجمة ذلك الحل إلى زواج، يرميها بأنها فقدت شرفها (١١ : ٧٩) ويشمت فيها عندما تطردها صاحبة البنسيون - فهو نموذج يشير إلى الموتورين الذين أقصتهم الثورة لسوء أعمالهم وماضيهم وهو من الحاقدين على مصر الكارهين لكل حركة شعبية لأنها ستنقدهم امتيازات اكتسبوها بدون وجه حق.

مريانا صاحبة البنسيون، يونانية الأصل، عجوز عليها بقايا جمال، كان يعيش معها أيام الشباب، شخصية تجارية، تنظر إلى كل شىء بقدر مايدره عليها (١١ : ٢١) تكن العداء لثورة ١٩١٩ ، وثورة ١٩٥٢ ، قائلة : "مسيو عامر ، قتلت الثورة الأولى زوجى الأول، أما الثانية فجردتنى من مالى وأهلى (١١ : ١٨) ومحاول أن تستغل جسد زهرة لصالحها (١١ : ٧٩) وتطردها فى النهاية لأنها تشاءمت بها أو على حد قولها من أن البنسيون قد حلت عليه اللعنة منذ قدومها (١١ : ٢٦٩) فهى نموذج يشير إلى طبقة الأجانب الكارهة لمصر مع أنها تعيش فيها وعليها وانتهت ثورة ١٩٥٢ امتيازاتها. سرحان البحيرى يمثل شخصية المصرى الفلاح، الذى لم يعمل بالسياسة من قبل، وعندما تأتى ثورة ١٩٥٢ يشارك فى أجهزتها السياسية (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - لجنة العشرين - عضو مجلس إدارة منتخب من العاملين (١١ : ٥٢) وهو

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الوحيد الذى أحبته زهرة وسمحت له بتقبيلها وكانت تعلق أملاً فى الزواج منه ، وترى فيه طموحها وأحلامها، لكنه كان يريد أن يستغلها ويعيش معها بلا زواج قائلاً: "سنعيش معاً إلى الأبد. سألتنى متهكمة - ولاتوجد مشاكل فى تلك الحال ؟ أجبت بصراحة مؤسفة : المشاكل التى أعنيتها إنما يخلقها الزواج فتمت بغضب مكتوم : يجب أن أندم على حبى لك (١١ : ٢٣٥) ويموت منتحراً أى قتل نفسه - بعد أن فشل فى مغامراته الخبيثة مع زهرة، وبعد أن انكشفت محاولته سرقة (الغزل) وبيعه فى السوق السوداء. فهو يمثل الوصولى الذى يحاول الاستفادة من الثورة ويسعى للمحافظة عليها لأجل ذلك بالضبط على شاكلة محاولته الاستفادة من زهرة بأن يجعلها المرأة تقوم مقام الزوجة بدون زواج وعندما يئس ينصرف عنها.

أما رواية الكرنك فإنها تقدم جيل أبناء الثورة والذى لولاها (الثورة) ماستطاع دخول المدارس، انتماؤهم الوحيد كان إلى ثورة يوليو (٣ : ٥٠) آمنوا بالاشتراكية المصرية، ولم يتزعزع إيمانهم بالدين، من مثل إسماعيل الذى كان يظن أن تاريخ مصر يبدأ بالثالث والعشرين من يوليو ولم يتجه للبحث وراء ذلك إلا بعد النكسة (٣ : ٥٠) اعتقل أكثر من مرة، اتهم فى الأولى بأنه من الإخوان المسلمين لأنه تبرع يوماً بقرش لبناء جامع (٣ : ٦١) تؤيد التهمة لحيته التى طالت فى السجن (٣ : ٦١) وفى المرة الثانية يعتقل ويعترف أمام خالد صفوان مدير المخابرات - أنه برىء مؤمن بالثورة لأنه المستفيد الأول بها (٣ : ٦٣) لكنهم يأتون بزينب خطبته وأبنة حارته ويهددونه بالاعتداء عليها أمامه فيقر راغماً أنه شيوعى لينقذها ولايذكر تاريخ انضمامه الوهمى للشيوعيين (٣ : ٦٥) ، وعلى الرغم مما تعرض له فى المعتقل من صنوف التعذيب إلا أنه ظل مؤمناً بالثورة وان كفر بالمخابرات وتصور أنها تمارس أساليبها فى خفاء عن المسئولين (٣ : ٦٢) وتفلح المخابرات فى تجنيده - بالترغيب والترهيب وخرج من معتقله الثانى ليكون مرشداً ذا مرتب ثابت وضمير معذب، وحاول أن يسوغ عمله بانتمائه الثورى لكن القلق لم يفارقه أبداً (٣ : ٧٦) إلى أن يقبض عليه ولايفرج عنه إلا بعد النكسة بعد أن تحطم ولم يجد شفاء ومخرجاً، من عذاب النفس إلا فى الانضمام إلى الفدائيين لتطهير نفسه (٣ : ٦٢) واتجه، منذ هذا التاريخ لدراسة تاريخ مصر

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الحديث (٣ : ٨٣) إنها قصة جيل الثورة الذى شقى لانحراف بعض قادتها، وقصة إسماعيل وهى قصة زينب، التى اعتقلت معه لصلتها المعروفة به (٣ : ٨٣) ، وتعرضت فى الاعتقال الثانى لعذاب مهين لتقدر أذاه إلا امرأة (٣ : ٨٦) ، واعتدى عليها اتباع خالد صفوان أمام، عينيه وفى مكتبه (٣ : ٨٨) ويفرج عنها بعد تجنيدها مرشدة بالمخابرات، (٣ : ٩٠) ومع ذلك لم تكفر بالثورة واتهمت نفسها وصممت نفسها، وذلك بأن تعيش كامرأة بلا كرامة (٣ : ٩٢)، فاستسلمت ومع ذلك أيدت جماهير ٩ ، ١٠ يونيه ١٩٦٧ وكفت عن ممارسة البغاء (٣ : ١٠٠) التى تردت فيه عقب الإفراج عنها .

ويتخذ الكاتب من شخصية خالد صفوان - الذى أشرف على تعذيب رفاق الكرنك - بعد سقوطه عقب النكسة ، وسيلة لإعلان رأيه فى المبادىء التى يجب أن تأخذ بها لبناء مصر الحديثة بعد أن فشلت تجربتنا الأولى ، هذه المبادىء هى الكفر بالاستبداد والدكتاتورية (٣ : ١١١) والكفر بالعنف الدموى والعمل على أن يقوم التقدم معتمداً على قيم الحرية والرأى العام واحترام الإنسان، والإيمان بأن العمل والمنهج العلمى هو مايجب أن نتقبله من الحضارة الغربية دون مناقشة وأما ماعداه فلا نسلم به إلا من خلال مناقشة الواقع متحررين من أى قيد قديم أو حديث (٣ : ١١٢) ، وعلى هذا فإن الكرنك تقدم قصة مصر فى فترة التخبط والضياع والتجريد بلا طريق محدد، لذلك يصدق قول خالد صفوان عليها : كلنا مجرمون وكلنا ضحايا (٣ : ١٠٦) .

ومن ثم رأينا فى هذا العرض لمحة من حياتنا السياسية فى إطار المكان المعنوى، تحولت القضايا السياسية إلى قضايا شاملة من حيث مشاركة أبطال لهم صفة الشمول والتنوع فى المجالات الثقافية والسياسية فى صنع الأحداث، كل بطل يمثل موقفا، فأصبحت الأحداث صورة لصراع المواقف، وهذا طابع الحياة السياسية فى القاهرة الجديدة، بعد أن كان صراع المواقف فى القاهرة القديمة يدور بين أفراد الأسرة الواحدة تارة وبين الأصحاب تارة أخرى .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المكان والحياة الاجتماعية :

تطورت تقاليد الحياة الاجتماعية فى القاهرة مع تطور الأحداث فى روايات نجيب محفوظ، وكان التطور المكانى على شكلة عامر بنا فى الحياة السياسية من المكان المحسوس إلى المكان المعنوى ، ومن ثم كانت التقاليد فى المكان فى روايات القاهرة القديمة يدور فى دائرة الأسرة ثم فى دائرة الحارة ثم فى دائرة الحى ليتحول بعد ذلك إلى قضية اجتماعية على نطاق المجتمع فى روايات القاهرة الجديدة. من ذلك تقليد إحترام الزوجة لزوجها والطاعة الكاملة الساكنة لأوامره فى جيل السيد أحمد عبد الجواد وزوجته أمينة تطور مفهوم فى أجيال الثلاثية بشكل واضح فى إطار البيت الكبير وبيت آل شوكت "تعلمت أمينة فى بيت (السيد) أن زوجها الرجل الأمر الناهى ، الذى لايقبل على سلوكه أية ملاحظة ، وماعليها إلا الطاعة والعمل على تأديبها (٥ : ٨) ومن ثم كانت "الرمز الحى لحديها على بعلها (٥ : ٨) وطاعتها تقليد متوارث تعلمته من أمها حين أفضت إليها بشكواها فى مرة من المرات قالت الأم أن "سيدها" تزوجها بعد أن، طلق زوجته الأولى، وكان بوسعه أن يستردها لو شاء أو أن يتزوج ثانية وثالثة ورابعة وقد كان أبوه مزواجاً، فاحمدى ربنا على أن أبقاك زوجة، وحيدة" (٥ : ٩) بل أن مرقفها من مسألة الغيرة على زوجها ينطلق من هذه الطاعة، فإذا بالغيرة شأنها شأن المتاعب التى تعترض سبيل حياتها، لايعدو التسليم بها كقضاء نافذ لاتملك حياله شيئاً" فلم تهتد إلى وسيلة فى مقاومتها إلا أن تنادى الصبر وتستعدى متاعبها الشخصية ملاذها فيها الأوحد فى مغالبة ماتكره، فانقلبت الغيرة وأسبابها، كطابع زوجها الأخرى وكمعاشرة العفاريت، مما تحتمل (٥ : ٩) واستمر هذا ديدنهما طوال حياته وحياتها . وزوجته الأولى "هنية" كانت على النقيض من "أمينة" رفضت استبداد "السيد" "إذ كانت" جميلة مترعة أنوثة وجاذبية فنعم بمعاشرتها أشهراً حتى بدا منها شىء من المقاومة لإرادته التى نزع إلى فرضها على المتصلين به من آله، ولم تر بأساً فى الاستمتاع بالحرية ولو بالقدر الذى يتيح لها زيارة أبيها من أن لان، ففضب السيد وحاول منعها بالزجر أولاً ثم بالضرب المبرح أخيراً فما كان لها من المرأة المذللة إلا أن فرت إلى والديها وهكذا قضى على ياسين أن يولد بعيداً عن أبيه وأن يلقى من حياته فى بيت أمه مالقى من ضروب المذ له والألم (٥ : ١٠٢) فهكذا كان التناقض بين سلوك المرأتين

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إزاء، زوجها "السيد" واستبداده. وهنا تجدر الإشارة إلى حقيقة يؤكدها محفوظ توضح مفهومه لتطور التقاليد الاجتماعية، ذلك أن أمينة حين طردها "السيد" من البيت الكبير أثر حادثة زيارتها للحسين دون إذن سابق جلست مع أمها جنباً لجنب، وهنا يلفت الكاتب النظر إلى أن هذا اللقاء يدعو إلى تأمل قوانين الوراثة العجيبة وقانون الزمن الصارم كأنهما شخص واحد وصورته المنعكسة فى مرآة المستقبل ونفس الشخص صورته المنعكسة فى مرآة الماضى، وبين الأصل والصورة على الحالين مايشير إلى الصراع الرهيب الناشب بين قوانين الوراثة التى تعمل على التشابه والبقاء من ناحية وبين قانون الزمن الذى يدفع إلى التغير والنهاية من ناحية أخرى ذلك الصراع الذى يجلس عادة عن سلسلة من الهزائم تلحق تباعاً بقوانين الوراثة حتى يغدر قصارها أن تؤدى وظيفة متواضعة فى نطاق قانون الزمن الصارم (٥١ : ١٩٧) وعلى هذا كان الزمن الصارم من وراء هذا التقليد، الموروث ومالحقه من هزائم ، عادت أمينه إلى البيت الكبير وعبارات، أمها خير مايدل على قوة التقليد الموروث بالنسبة لجيلها ومن قبل جيل الأم، قالت لها أمها : الصبر ياأمينة إنى أرثى لحالك، الأم غريبة ما ابتعدت عن أبنائها، غريبة ولو حلت فى البيت الذى ولدت فيه (٥ : ٢٢٢) لتخرج من البيت من بعد ابنتها عائشة حين زفانها إلى خليل شوكت "وفى بيت آل شوكت الشركى المتمصر، يظهر أو تطور للتقليد الموروث من حيث لغة التخاطب بين الزوجين وطبيعة المعاملة، يقول لها زوجها : "اعلمى ياشوشو انك لم تعودى من آل عبد الجواد، انت الآن شوكتيه فلا، تبالى بالأخرين (٥ : ٢٧٦) "ولم يكن غريباً أن تدخن عائشة السجاير وتشرب الخمر مع زوجها فى البيت الجديد مما يدل على أن الجيل الثانى كان، أكثر احتراماً للمرأة وأن المرأة نالت قسطاً من الحرية لم يكن متوفراً للجيل الأول وفى "البيت الكبير" "يعنف" السيد" زينب - زوج ياسين على خروجها مع زوجها إلى كشكش بك "مما يشير حفيظتها وتجنح فى باطنها" (٥ : ٢٩٨) إذا كانت فى بيت أبيها تنعم بقسط من الحرية فقدته فى البيت الكبير" وحين دافع عنها ياسين قائلاً لأبيه "كان والدها يعاملها بشىء من التسامح" رد عليه السيد بحزم قائلاً : لم تعد فى بيت أبيها عليها أن تحترم آداب الأسرة التى صارت عضواً فيها أنت زوجها وسيدها، وبيدك وحدك أن تصورها فى أى صورة تشاء، خبرنى عن - المسئول عن ذهابها معك أنت أم هى ؟ أى رجل أنت تأخذها إلى مكان ترقص

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فيه النساء نصف عارية لهذا البيت قانون أنت تعرفه فوطن نفسك على احترامه مارغبت البقاء فيه (٥ : ٣٠٠) وعلى الرغم من احتمال زينب طباع زوجها ياسين (٥ : ٣١٧) إذا كان على شاكلة أبيه فى شهواته - إلا أنها ثارت ثورة عارمة حين ضبطته يخونها مع جارتها نور (٥ : ٣٦٢) وتركت البيت وطلبت الطلاق، ونالت ماأرادت . وكان هذا يعد مما لحق من هزائم للتقليد فى البيت الكبير، إذ غلب "السيد" على أمره أمام خطأ ابنه لافى ارتكاب الجريمة إنما فى أسلوب التنفيذ الدال على الغباء (٥ : ٣٨٣) .

وفى بيت آل شوكت "نجد هزيمة جديدة للتقليد أدت إلى تطوير آداب الأسرة بما يكفل للمرأة قسطاً من الحرية، ذلك أن خديجة "بعد زواجها من إبراهيم شوكت أصرت على الاستقلال بشئون بيتها وان تستقل بمطبخها عن مطبخ البيت الكبير حيث السيطرة للأم (حرم المرحوم شوكت وكان هذا الإصرار ثورة هددت وحدة الأسرة الشوكتيه وظفرت خديجة ببغيتها فاستردت من (حماتها) أدوات جهازها النحاسية، وهيأ لها إبراهيم المطبخ كما رسمت، ولكنها خسرت حماتها وفتكت بأسباب المودة التى ربطت بينهما منذ درجت فى المهد (١٠ : ٣٩) ومانصل إلى الجيل الثالث حتى تخف صرامة هذا التقليد إلى درجة تجعل التفاهم بين الزوجين أمراً طبيعياً فى إطار من المساواة - والمشاركة فى تحمل أعباء الحياة. ومن ثم كان زواج أحمد من سوسن فؤاد يقوم على الإتفاق فى المذهب الفكرى (١ : ٣٠٨ ومابعدها) أولاً ثم العاطفة ثانياً وهذا لم يكن متوفراً فى الجيل السابق، إذ زوج "السيد" ياسين لزينب وهو الذى طلقها منه، وكان "السيد" هو صاحب قرار الرفض أو الموافقة بالنسبة لزواج أبنائه، حتى حدت عاطفة الحب عند عائشة نوعاً من (القابلية) أكثر من تعلقها برجل بالذات، فإذا استبعد رجل وحل محله آخر ظفرت قابليتها بما يشبعها ومضى كل شىء فى سبيله، وقد يكون رجل آثر عندها من آخر ولكن ليس إلى الحد الذى يفسد معه طعم الحياة أو يدفع إلى التمرد والعصيان (٥ : ٢٢٧) .

وتبدو فى السلوك الاجتماعى للأفراد فى بعض الأحيان - خيوط تتصل بالعقيدة الدينية من ذلك مانلاحظه فى سلوك السيد أحمد عبد الجواد، "فى الثلاثية كان يصلى صلاة" عاطف وشعور

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وإحساس يؤديها بنفس الحماس الذى ينفضه على ألوان الحياة التى تتناسب فيها جميعاً، كما يعمل فيتفانى فى عمله، ويصادق فيفرط فى مودته ويعشق ويدوب فى عشقه ويسكر فيغرق فى سكره، مخلصاً صادقاً فى كل حال هكذا كانت الفريضة حجة روحية يطرق فيها برحاب المولى - حتى إذا انفتل من صلاته تربع وبسط راحتيه وراح يدعو الله أن يكلله برعايته ويغفر له ويبارك فى ذريته وتجارته.(٥ : ٢٠) فهو هنا ينصرف فى صلاته وعبادته بعمق تأثيره بمعتقده الدينى بينما ينصرف إلى لهوه وملاذه بعمق تأثيره بذاته وكيانه الذى كان موزعاً بين طابعين مميزين لشخصية، شخصيته فى بيت وأمام أسرته فى البيت الكبير - حيث الشخصية - المستبدة الحاكمة والمظهر الدينى يتنافى دون شك مع دواعيها ونوازعها .

وفى الجيل الثانى لانحس بعمق الشعور الدينى فى شخصية ياسين إذ خفتت فيها روح القيم الدينية مع ماخفت من قيم أخرى وحلت محلها نوازع المجون والعبث أما فهمى فكان شعوره الدينى قريباً أسسه ماأطلع عليه من آراء الإمام محمد عبده وتلاميذه ومن ثم كان الوحيد الذى يقف موقف التشكك من إيمان الأسرة بالتعاويذ والرقى والأحجبه (٥ : ٣٩٠) صلاة الجمعة فى الحسين مع والده وأخوته - التى قد تنفعه فى يوم الحساب (٥ : ٣٩١) لكنه لم يكن كوالده "يستطيع التوفيق بين متناقضاته (٥ : ٣٩٢) ورأينا من قبل كيف انتهى كمال - بسبب مالاقاه من إحباط فى حياته العاطفية والفكرية - إلى الشك والشتات . أما الجيل الثالث فكان واضحاً فى موقفه من المشاعر الدينية إذ كان أحمد عبد المنعم شوكت شيوعياً ملحداً على النقيض من أخيه الذى كان مؤمناً من الأخوان المسلمين ولم يسمح لشهواته أن تمتلك نفسه فرفض الاستمرار فى علاقته العاطفية مع ابنة الجيران وينصاع لأمر شيخه وتزوج على الرغم من أنه كان طالباً فى المدرسة الثانوية. ويصور نجيب محفوظ أثر الشعور الدينى على الميول السياسية لأفراد المجتمع ويمثل طرفاً من هذا الحوار بين كمال عبد الجواد ورياض قلدس حول موقف الأقلية القبطية من سعد زغلول ومن الوفد (١ : ١٧٤ ومابعدها) مما يوضح بعض مظاهر الخلافات بين الأقلية وبين الأكثرية فى مجتمع القاهرة منذ مطلع هذا القرن وفى رواية "حضرة المحترم" نجد من بين أبطالها عثمان بيومى ابن الحارة الشاب الطامح الذى يخشى من تعارض إحساسه بالطموح وشعوره الدينى فيجرى مصالحه بين الطموح والدين،

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فالوظيفة طريق الله المجيد (٦ : ٨٣) ويبرر قوة كفاحه فى الدنيا بأنه يؤمن بأن الله خلق الإنسان للقوة والمجد، الحياة قوة المحافظة عليها قوة الاستمرار فيها قوة فردوس الله لايبلغ إلا بالقوة والنضال (٦ : ٨٠) وعندما يرغب فى الزواج يعلل هذه الرغبة تعليلاً دينياً إذ أن الزواج يرضى ورعه الدينى خاصة أنه "يرى عذوبته إثماً (٦ : ٧٧) وكان كلما ضاق بتقشفه قال لنفسه : "هكذا عاش الخلفاء الراشدون " (٦ : ٢١) واعتبر العمل فى الحكومة عبادة وأن خدمة الحكومة مقدسة ومن ثم كانت نظرته إلى شخصية المدير العام نظرة تحمل معنى هذه القدسية المنطلقة من مشاعره الدينية (٦ : ١٣) وهكذا كانت بيئة الحارة من وراء هذه المشاعر الدينية التى خلقت السلوك الاجتماعى لهذا البطل (١٠) ومن الممكن أن ترصد فى روايات نجيب محفوظ موقفاً إجتماعياً إزاء مسألة بعينها على نحو ماسر بنا فى علاقة الزوج بزوجته - ذلك أن رواياته حافلة بهذه المواقف، من ذلك مثلاً تعليم البنات (١ : ١٠ ومابعدها) الوظيفة المناسبة للبيئة الاجتماعية (١٠ : ٥٩ ومابعدها) واختيار التخصص الدراسى بعد الحصول على البكالوريا (١١: ٢٨ ، ١٠ : ٥٩) إن متابعة الحوار والأحداث حول هذه المسائل ترسم صورة للحياة الاجتماعية فى المكان سواء فى البيت الكبير (المكان المحسوس) أو فى القاهرة ككل (المكان المعنوى) فبينما كان تعليم البنات غير وارد فى الجيل الأول فى الثلاثية ومقبولاً على مضض وإلى حدود بعينها فى الجيل الثانى نجده فى روايات القاهرة بعد الثورة حقاً بل وإلزاماً لأن الثورة فتحت المدارس أمام الجميع فى الحارات ويرتبط بهذه المسألة حق المرأة فى العمل. وبالمثل كان واضحاً تباين وجهات نظر الفئات الاجتماعية من الوظيفة، على نحو ماهر واضح استهجان (السيد) لوظيفة "المدرس" وهو استهجان يؤيده بعض آل شداد باشا، أما وظيفة القاضى ووكيل النيابة فإنها من الوظيفة المرموقة المستحسنة فى المجتمع فى نظر السيد عبد الجواد وغيره، وعلى هذا نشب الخلاف بين السيد وابنه كمال بعد حصوله على البكالوريا ورغبته فى الالتحاق بمدرسة المعلمين التى توافق ميول كمال ولاتوافق مطامح أبيه. بينما التحق (فؤاد) ابن وكيله الحمزاوى بمدرسة الحقوق وكان ذلك مدخرة لوالده وللسيد كذلك.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وكانت الفكاهة ملازمه للقاهرى فى حياته الاجتماعية، يدلنا على ذلك أنها كانت تطبع الحوار المعلن وغير المعلن لمجموعة من شخوص روايات نجيب محفوظ، من مثل ماهو واضح فى شخصية "السيد" فى الثلاثية حيث تبرز روح الفكاهة فى شخصيته بشكل يمثل طابعاً مصرياً حقاً، فالمصرى لاتفارقه هذه الروح الفكاهية حتى فى أزماته وعلى شاكلة "السيد" كان "ياسين" من الجيل الثانى واحمد عبد المنعم شوكت من الجيل الثالث، وفى خان الخليلى نجد الفكاهة واضحة فى شخصية ابن الشيخ درويش حسين كرشه وغيرهما . وهى روح فكهة واضحة فى مناقشات الجنس والسياسة والاقتصاد، وكل أمور الحياة الاجتماعية بل وأمور الحياة الدينية كذلك .

وفى مقابل الروح الفكهية نجد الحزن القاتم يتمكن من النفوس، ومن ثم كان تصوير المشاعر الحزينة عند أمينة والسيد بعد ، استشهاد "فهمى" تصويراً صادقاً وعميقاً، (١٠ : ١٤) وإن كان السائد على لسان شخوصه أنه "ليس حزن الرجال كحزن النساء "وتكرر هذا التعبير فى "بين القصرين" ، "السكرية" ونجد هذا الحزن قاتماً عند عائشة فى الجيل الثانى. والكاتب يصور عمق الحزن عند المرأة وإحساسها العميق به وكأنه تقليد متوارث ، يقول على لسان أم أمينة : لو صح أن نحكم على القلوب بقلب الأم لبدت القلوب أحجاراً. أنه (السيد) رجل وليس حزن الرجال كحزن النساء .... ولو استلسم الرجال للأحزان لنامت به كواهلهم المثقلة بالأعباء ، عليك إذا أنشت منه حزناً أن تسرى عنه .. انه ركنك ياابنتى المسكينة (١٠ : ١٥) "أما الرجل فكان حزنه صامتاً مكتوماً فى نفسه وهو يقر (السيد) إن بموت "فهمى" مات جزء جسيم منه ومن ثم يقول : "مات أملى الأول فى الدنيا - ، من ذا يلو منى على الصبر والعزاء(١٠ : ١٧) (٣) " ثم انه كان يتساءل مراراً "أأعود إلى أحضان الغوانى وفهمى فى قبضة التراب ؟ .... ماأحوجنا فى ضعفنا وتعاستنا إلى الرحمة ؟ فليداوم على الحزن من يضمن ألا يموت غداً (١٠ : ١٦) .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

يحاول هذا البحث الكشف عن عناية نجيب محفوظ بالمكان الذى يلعب دور البطولة فى كثير من رواياته ويقدم البحث دراسة عن طوبوغرافية المكان وكيف عنى الكاتب بدراسة تفاصيل المكان .

ولم يكن المكان فى رواية نجيب محفوظ مكاناً مادياً فقط إذ كان مكاناً معنوياً فى بعض الروايات وذلك طبقاً لتطور الحدث، ومن ثم كان المكان محدوداً بحدود تضيق وتتسع تبعاً لتطور الأحداث، ودور الشخوص فيها .

ويربط البحث بين المكان ومايعرض له الكاتب من مشكلات اجتماعية وسياسية وفكرية. أيضاً يبرز البحث السمات الأساسية للمكان فى القاهرة خاصة الأحياء الشعبية القديمة حيث تتوافر فى الحى القديم معالم أساسية مثل القهوة، ومقام الشيخ . أما فى القاهرة النصف الثانى من القرن العشرين ، فإن المكان يكون معنوياً حتى لو انطلقت الأحداث من مكان محدود من مثل رواية الكرنك . أيضاً تتنوع الشخوص تنوعاً مناسباً للأحداث ويتبع هذا تنوعاً فى أنماط المكان .

وكان مجال التطبيق فى هذا البحث، مجموعة الروايات التى صدرت عن الكاتب حتى عام ١٩٨١ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

هوامش وتعليقات

تعتمد هذه الدراسة على روايات لنجيب محفوظ ، ط . دار مصر للطباعة ، مكتبة مصر بالفجالة، ولاينص فى هذه الطبعة على سنوات الطبع، إنما يذكر تاريخ الطبعة الأولى فقط .

وترتيبها على النحو الآتى : -

١ - السكريـــة .

٢ - القاهرة الجديدة .

٣ - الكرنـــك .

٤ - اللص والكلاب .

٥ - بين القصرين .

٦ - حضرة المحترم .

٧ - حكاية بلا بداية ولانهاية .

٨ - خان الخليلى .

٩ - زقاق المدق .

١٠ - قصر الشوق .

١١ - ميرامـــار .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com